

المبحث الثاني

نعيم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك :

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعباب القبر لمن كان مستحقا له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، فدللت الآية على تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾^(١).

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦)، قال القرطبي: (الجمهور على أن

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٦٩).

هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر). وقال الحافظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)^(١).

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: ١٠١)، فقد استدل بها كثير من السلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بالجوع وعذاب القبر، قال: «ثم يردون إلى عذاب عظيم» يوم القيامة). وعن قتادة قال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحاديث في عذاب القبر^(٢).

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)^(٣). وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن عذاب القبر)^(٤). والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب والسنة وقد دحرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير ج ٧/ ١٣٦.

(٢) صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر، فتح الباري (٣/ ٢٣١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٨).

المطلب الثاني : وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا :

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعا، فتنعم الروح أو تعذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعا كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحيانا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفردا عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعة، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونيمه يكون للروح فقط على كل حال ولا يتعلق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل (محمد ﷺ) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)^(١).

وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم مرفوعا للنبي ﷺ قال بعد أن ذكر خروج الروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: (فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨).

فيجلسانه فيقولان له من ربك^(١) الحديث، وقد صحح هذا الحديث الحاكم وغيره.

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جميعا ففي قول النبي ﷺ: (إن العبد إذا وضع في القبر) دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جميعا، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: (يسمع قرع نعالمهم) (فيقعدانه)، (ويضرب بمطارق من حديد) (فيصيح صيحة)، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد- جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أفهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش)^(٢).

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القبر وقد تنفرد الروح بهذا أحيانا. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن

(١) مسند الإمام أحمد ٢٨٧/٤، وسنن أبي داود ٧٥/٥ برقم (٤٧٥٣)، والمستدرک: ٣٧/١-٣٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٦/١، والحاكم في المستدرک ٢٩٧، ٨٨/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين
كما يكون للروح منفردة عن البدن).

المطلب الثالث : الإيمان بالملكين منكر ونكير :

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونكير وأتهما الملكان الموكلان
بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنا
تقرير الإيمان بهما إيماناً مفصلاً وما يحصل منهما من فتنة المقبورين إذ تقرير
هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعذابه في الجملة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل
القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبان
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قبر الميت أو قال
أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير،
فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبد الله
ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا
نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين...، وإن
كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري: فيقولان: قد
كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التثمي عليه فتلتئم عليه فتختلف
أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)^(١). وقد دل
على سؤال الملكين أيضاً حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

(١) سنن الترمذي ٣/٣٨٣، برقم (١٠٧١)، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقرير صحيح ابن

حبان: ٧/٣٨٦، برقم (٣١١٧).

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما
وسؤالهما المقبورين وكيفية ذلك وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنافق
وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الذي جاءت به
الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهب
لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر من أهل
العلم، والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عام
في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث

الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل على جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب على المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

المطلب الأول : معنى البعث وحقيقته :

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ بَعْدَهُمْ مُوسَى﴾، (الأعراف: ١٠٣)، أي: أرسلنا.

والثاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ...﴾ (البقرة: ٥٦)، أي: أحييناكم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يسر: ٧٨، ٧٩).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن رجلاً حضره الموت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أورو ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له^(١)).

فدلت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمع رفات المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله ينزل إلى الأرض ماءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: (ما بين النفختين أربعون) قال: أربعون يوماً. قال: أيّيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أيّيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أيّيت، قال: (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلو إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة)^(٢). فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهما نفخة الإمامة ونفخة البعث ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد أربعون يوماً أو شهراً أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطراً من السماء. جاء في

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٥).

بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فینبت أهل القبور من ذلك الماء كما
ینبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء
فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بهذا حقيقة البعث ووقته
وكيفيته والله أعلم.

المطلب الثاني : أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر :

دلّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن
كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٦)، وقوله عز وجل: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ
وَّاحِدَةٍ إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ
يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧).

ومن السنة حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا
تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات
ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول
من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى أخذ بالعرش ..^(١) وفي حديث
أبي سعيد الخدري ؓ في الصحيحين: (فأكون أول من تنشق عنه
الأرض)^(٢). فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامة من

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣)، وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤١٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٧٨).

قبورهم إلى أرض المحشر وفيهما فضيلة للنبي ﷺ لكونه أول من يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعادة للخلق ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه ولهذا قال الله تعالى في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشأته الأولى وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من باب أولى، فقال المعارض على البعث كما حكى الله عنه: ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس: ٧٨)، قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس: ٧٩)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم: ٢٧). فهذا دليل شرعي عقلي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يستطيع رده.

المطلب الثالث : الحشر :

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلاً قال تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً^(١)) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر

(١) غرلاً: غير محتونين.

بعضهم إلى بعض^(١).

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هم القائمون الركبان. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مریم: ٨٥).

أخرج الطبري عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة)^(٢). وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٤). قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائِبُكُمَا وَصُمًّا﴾ (الإسراء: ٩٧).

المطلب الرابع : الحوض، صفته وأدلته :

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد عليه السلام في الحشر يرده هو وأمته. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد مأوه من الجنة، فيه ميزابان

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٦٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٣٨٠/٨).